



International Journal of Advanced Academic Studies

E-ISSN: 2706-8927

P-ISSN: 2706-8919

www.allstudyjournal.com

IJAAS 2020; 2(4): 143-149

Received: 12-08-2020

Accepted: 16-09-2020

الدكتور محمد اعظم بن عبد
اللطيف

الاستاذ المساعد في قسم اللغة
العربية بجامعة بابا غلام شاه
بادشاه، راجوري، جامو وكشمير،
الهند

عبد الرحمن الشرقاوي: روائيا وصحافيا

الدكتور محمد اعظم بن عبد اللطيف

التمهيد:

أعطى الله الإنسان ملكة الإفهام والتفهم والبيان والتبيين والبسط والتفصيل وهي نعمة من نعم الله سبحانه وتعالى عليه في هذه الدنيا وسوف تكون في الآخرة وبالنسبة لهذا الأمر الأصيل نرى محاولات جبارة في مختلف المجالات من الأدب كالشعر والنثر والبلاغة والفصاحة والترجمة والترجمة الشفوية والترجمة الفورية والقصص والمسرحيات وتلتها المواضيع الأخرى كالتفسير والحديث والفقه والسيرة والتراجم فهذه المواضيع المهمة حصيلة الجهود الجبارة من قبل كبار الأدباء والكتاب البارعين فمنهم عبد الرحمن الشرقاوي.

ولد عبدالرحمن الشرقاوي في وقت عصيب من الزمن ورأى ملاك الأرض يستبدون حقوق طائفة من الناس البسيطة الساذجة التي تكذب في أرض الله وتاكل من عرق جبينها ولكن الذين يستريحون على الأرائك الناعمة يمتصون دماءها ويحدون إليها النظر الطامع فقام هذا العبقرى العملاق ليرفع كلمته إلى أذان الظالمين وجباري الأرض.

بدأ هذا الصحافي الكبير وكاتب السيرة والتراجم سفر حياته في قرية الدلاتون مركز شبين الكوم محافظة المنوفية في 10 نوفمبر عام 1920م. وأنه بدأ رحلته التعليمية بالمدرسة الأولية بالبلدة وحفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب على يد شيخ القرية وفقهها. وقبل الوصول إلى المدرسة الابتدائية كان قد تعود أعمالا صيبانية كمثلته في السن والرسوم ولذا أنه لا يزال يستح في الترععة الصغيرة بل كان يمرغ جسده على التراب ويكسو ويلطخ وجهه ورأسه بالطين ليبدو شكل العفريت سواء من الأولاد أو البنات ثم يقفزون إلى الترععة الصغيرة في الماء المتقل بالطين. نشأ في ظل الظروف المعينة التي تعودها سكان هذه المنطقة، حتى جاءت ثورة 1919م وفي أعقابها ارتبطت صباحه وطفولته بالحرية الكاملة. ثم تحول إلى المرحلة الابتدائية من التعليم وكان كل الذين يكبرونه يتلقون أيضا تعليمهم بالقاهرة ويعودون إلى القرية كل صيف حاملين معهم كتباً يقضون إجازتهم في قراءتها وفي ذلك الحين استطاع الشرقاوي فقط، أن يقرأ عناوين هذه الكتب وأسماء مؤلفيها وعرف منها أسماء طه حسين وعباس محمود العقاد وأحمد شوقي ودكتور محمد حسين هيكل ومصطفى لطفى المنفلوطي ومصطفى صادق الرافعي ومصطفى عبدالرازق ومنصور فهمي إبراهيم.

ولكنه في مثل هذا العمر الصغير لم يستطع سوى قراءة عناوين الكتب وأسماء مؤلفيها لأن ذهنه الثاقب بدأ يستعد إلى التقدم والرقى ثم تعدى ذلك إلى سماع الإخوة الكبار وهم الذين يستمتعون ويتلذذون بقراءة الصحف العربية الخالدة اليومية والمجلات العربية المصونة الأسبوعية في صمت و إعجاب ويجدون القدرة التدريجية في فهم هذه اللغة العظيمة ولم يكذب يخلع البنطلون القصير والجاكيت المسدودة حتى حصل على الشهادة الابتدائية و حينما يرجع إلى القرية في الصيف يحمل بالكتب ويرى أحلام الالتحاق بالمدرسة الثانوية وأحلام البنطلون الطويل والجاكيت المفتوحة ذات الحيب الصغير في داخلها والكرافته التي تتدلى وتتراقص على جنبه مع الريح والحذاء القصير والقطع الفضية التي تملأ جيب البنطلون والتمتع برنينها الجميل.

و حينما التحق بالمرحلة الثانوية بدأ يصغي اهتمامه الكامل كل أربعماء من كل أسبوع إلى حديث الأربعماء لعמיד الأدب العربي دكتور طه حسين الذي كان ينشر في جريدة السياسة و من خلال حديث الأربعماء اطلع على عوالم مجتذبة سحرية باهرة من حياة الشعراء العرب في العصور الجميلة الماضية وقد انطبع وترسخ في ذهنه وتسلط على فكره إسم طه حسين أكثر من جميع الأسماء الأخرى وهزته موسيقى تعبيراته وأعجبته تراكيب بيانه وأسلوبه. و كانت المحاولة الأولى وهمة الأول حاول أن يدخل كلية الآداب ولكنه صرف عنها للحقوق وعند ما التحق بكلية الحقوق جامعة فؤاد الأول أواخر الثلاثينات وأوائل الأربعينات لم يتوان أن يذهب إلى قاعة (إبورات) للحضور في المحاضرات القانونية التي كانت تلقى من قبل الدكتور عبدالرزاق السنهوري من حين إلى حين وكذلك للحضور في

Corresponding Author:

الدكتور محمد اعظم بن عبد
اللطيف

الاستاذ المساعد في قسم اللغة
العربية بجامعة بابا غلام شاه
بادشاه، راجوري، جامو وكشمير،
الهند

محاضرات الدكتور طه حسين الأدبية الأسبوعية وعندما يستمع إلى الموسيقى تتلفت أذانه إلى أنغام البيانو والمعزوفات الشرقية الشجية ويستمتع بتلاوة الشيخ محمد رفعت قيثاره السماء بجوار أصوات أم كلثوم وعبد الوهاب وصالح عبد الحى فى الأغاني وكذلك المسرحيات بأصوات جورج أبيض ويوسف وهبي وقد سمح بحضور محاضرات الدكتور طه حسين فى قسم اللسانس وقسم الدكتوراه بكلية الآداب وكذلك مصطفى عبد الرزاق أستاذ الفلسفة الإسلامية والأستاذ أحمد أمين أستاذ الأدب العربى. وانقطعت صلته بكلية الآداب ولكن صلته لم تنقطع عن كتابات الأدباء كطه حسين والعقاد وأحمد شوقى ويقول هو عن هذه الفترة: "وفى الحق أنني وأبناء جيلي عرفنا الآداب الأجنبية من خلال هؤلاء الأساتذة طه حسين والعقاد والمازني ومحمد عوض محمد وهيكى ودريني خشبة هم الذين قدموا لنا روائع الفكر والآداب الفرنسية والإنجليزية والألمانية واليونانية ومضى جيلنا يلتمس روائع هذه الآداب فيما يعرفه من اللغات الأجنبية".

الشرقاوى كصحافى: هو ابن القرية خلقه الله من آدم وآدم من تراب فالترربة لها مكان رفيع مكرم بالنسبة لعمل الفلاحة التي هي أساس حياة سكان القرية والريف فالشرقاوى نوتى أصيل من نوات سكانها وأهاليها وشاهد السمع والعين منذ الصغر للأحوال الحرجة والأوضاع المضطربة يقاسيها ويتجشمها الفلاحون المقهورون التي كانت الحكومة الحاضرة المصرية مسئولة لها فالشرقاوى باح بسرهم وسر الحكومة الجائرة تجاه الفلاحين التي تسومهم أسوأ العذاب في حياتهم اليومية ولذا وضع الشرقاوى حجر أساس أعماله الروائية والمسرحية على البوح بهذا السر المؤلم للحكومة في جميع إبداعاته الأدبية المفيدة والنافعة لجميع الإنسانية. هذا الأديب البارح الحاذق بدأ رحلته الأدبية من الصحف العربية العريقة بداية من مجلة **الطليلة** ثم **الفجر** وعمل بعد ثورة 23 يوليو في صحيفة **الشعب** ثم صحيفة **الجمهورية**، وشغل منصب رئيس تحرير **روز اليوسف**، وأخيراً جريدة **الأهرام**.

و في هذه المهنة الصحافية عمل الشرقاوى مع مختلف الجرائد العربية العريقة وكان متمسكا بأفكاره وآرائه إلى أنفاسه الأخيرة، وهذا ليس عن تعصب أو جهل غامض وإنما بقدرته على تحليل الأوضاع والظروف والاستشراف ما سيحدث في المستقبل، لم يكن عبدالرحمن الشرقاوى نجما فقط في الرواية بل كان نجما أيضا في القصة القصيرة والمسرح الشعري والسيرة الإسلامية والمقال الأدبي وكان كل ما يكتبه في هذه الفروع الأدبية المختلفة يثير جدلا لأهمية ما يتناوله من العناوين الحساسة لأنه كان سريع التأثير لنقد القبيح البذيء ومتزنا بإشادة الحسن الجميل وهذا هو قيمة كاتب الأربعاء من كل أسبوع الذي كان موعد قراء الأهرام معه الذي كان أحد أبرز كتابها خلال سنواته الأخيرة وعرض من خلال منبرها الكثير من القضايا الثقافية والسياسية والدينية. وجعل من كتاباته مرحلة أخرى من النضج خلال فترة الستينيات والسبعينيات و كان أحد نجوم الكلمة على الساحة الصحافية مما جعل حياته سلسلة من المعارك التي لا تتوقف إلي جانب الحق والعدل والمبدأ الذي قطعه على نفسه أن يظل مخلصا لكل كلمة يكتبها وأن يضعها في مكانها الصحيح دون رياء أو ابتذال وكان أول من أدخل إلي قاموس الفكر السياسي كلمات مثل "شرف الكلمة" و"قدسية الكلمة" فاعتقل وفصل بسبب مواقفه وآرائه، فقد كان يكتب ليثير اهتمام الناس وكان يصل إلي القلب والعقل معا. له نظرة عابرة وضوء كاشف على المجالات والصحف التي عمل

فيها عبدالرحمن الشرقاوى كصحافى أو كمسؤول تمثل بين عيني القراء والدارسين في الكتابات والمعاهد والكليات والجامعات والمؤسسات التعليمية.

روز اليوسف:

دورية الصدور: صحيفة مصرية يومية.

تاريخ صدورها: صدرت لأول مرة في 25 مارس 1925 كصحيفة مستقلة.

جهة الإصدار: مؤسسة روز اليوسف.

عين عبدالرحمن الشرقاوى رئيسا لمجلس إدارة مؤسسة "روز اليوسف" عام 1971م وعندما كان عبدالرحمن الشرقاوى مسؤولا عن الصفحات الأدبية في "الجمهورية" و"روز اليوسف" كان من أكثر الناس تشجيبا للأدباء الشبان ولجيلنا بالذات خصوصا أنه كان يقف أمامه مجموعة من العمالقة يوسف ادريس و الفريد فرج و أحمد عباس صالح. ودع الشرقاوى دار روز اليوسف مرتين الأولى كانت فى أبريل 1977 عندما استقال من رئاستها. والثانية كانت فى نوفمبر 1987 عندما رحل عن موقعه فى عالم الثقافة وعن العالم كله. وهؤلاء كلهم وجدوا فرصة العمل معا في مجلة التحرير أولى مجلات الثورة التى صدر عددها الأول فى سبتمبر 1952. وقد بلغ تيار الأربعينات النضالي أقصاه لقيام ثورة 1952 فاذا الشرقاوى يشارك فى تأييد الثورة وتأكيد مبادئها فشارك منذ اليوم الأول فى مجلة (التحرير) مجلة الثورة وما لبث أن أيدها فى خطواتها التحريرية فى الخمسينات. لكن توهجت مجلة روز اليوسف فى السبعينات عقب "حرب أكتوبر"، عندما ترأس تحريرها الكاتب الكبير عبد الرحمن الشرقاوى، إذ كانت المجلة منحازة إلى "كل شيء مختلف وحر". وعندما اندلعت انتفاضة 18 و19 كانون الثاني/يناير 1977، كتب الشرقاوى مقالا يعلن فيه تأييده الصريح لها، فأطيح به من رئاسة التحرير. وكانت مجلة "روز اليوسف" تتربع على قمة كل المجالات فى مصر وخارجها أيضا فى العالم العربى.

جريدة الشعب:

دورية الصدور: صحيفة مصرية أسبوعية.

تاريخ صدورها: صدرت لأول مرة فى عام 1966

جهة الإصدار: مؤسسة دار الشعب

كانت تصدر بلسان حزب العمل المصري تم حظر نشر هذه الصحيفة من جهة السلطات المصرية بحجة الصراع الداخلى على رئاسة الحزب من صاحب هذا الرأي، ويصدر الحزب الآن جريدة الشعب الجديد.

جريدة الجمهورية:

دورية الصدور: صحيفة مصرية يومية.

تاريخ صدورها: صدرت لأول مرة فى عام 1954

جهة الإصدار: حكومة ثورة يوليو 1954 دار التحرير للطبع والنشر

هي صحيفة مصرية أسستها حكومة ثورة يوليو في عام 1954 لتكون صوت الثورة وأشرف عليها أحد الثوار وهو محمد أنور السادات صدر العدد الأول من جريدة الجمهورية صباح الاثنين 7 ديسمبر 1953 لتكون المعبرة عن آراء حكومة الثورة ورجالها والداعية الأولى للعهد الجديد بين الرأي العام المصري والعربي. "وكان الأساس في الجمهورية أن تكون صحيفة رأي أولاً ثم خبر ثانياً لذلك نرى أن المقالات احتلت مساحة كبيرة من صفحاتها وقيل إنها صدرت لتعيد أمجاد صحف الرأي العظمى في الثلاثينيات من هذا القرن مع تطويرها ليصبح الرأي في خدمة الحياة والتقدم".

جريدة الأهرام:

دورية الصدور: صحيفة قومية مصرية.

تاريخ صدورها: صدرت لأول مرة في عام 1876

جهة الإصدار: مؤسسة الأهرام

تأسست الأهرام في 27 ديسمبر 1875 من قبل شقيقين اثنين لبنانيين بشارة وسليم تقلا اللذين كانا يعيشان في ذلك الوقت في الإسكندرية وصدر العدد الأول في 5 أغسطس 1876 في المنشية بالإسكندرية كما أنها بدأت صحيفة أسبوعية تصدر كل يوم سبت ولكن بعد شهرين من تأسيس الصحيفة حولها الأخوان إلى صحيفة يومية. وقد تم توزيع هذه الصحيفة في مصر وبلاد الشام. في نوفمبر عام 1899 تم نقل مقر الأهرام للقاهرة. وقد كانت الأهرام منذ صدورها الأسبوعي تهتم بالأخبار الرصينة وتمتعت عن التوافه وكان سليم تقلا يرى في الصحافة رسالة ووظيفة تأبى على حاملها أن يزل في لفظ أو يخطئ في تعبير لذلك كان يأنف الطعن في الأشخاص والهيئات ويتحرى الدقة فيما ينشر. وكان أسلوب الأهرام أكثر سلاسة ووضوحاً من الصحف المعاصرة لها إذ استطاع سليم وبشارة وكانا من ذوي الثقافة الفرنسية ويمتلكان حظاً وافراً من الثقافة والبيان العربي للأهرام وللصحافة المصرية والعربية أسلوباً جديداً في الكتابة الصحفية يبتعد عن السجع وأساليب الكتابة الإنشائية التقليدية واعتمداً على اللغة الرصينة السهلة التي تلائم طبيعة الصحافة السيارة التي تخاطب القراء على اختلاف ثقافتهم. وصف طه حسين الأهرام بأنها "ديوان الحياة المعاصرة" فالأهرام ليست صحيفة امتد بها العمر حتى شاخت ووصلت من الحياة إلى أرذل العمر ولكن مرور الزمن كان يزيداً أصالة ومن ثم فهي صحيفة تحمل على ظهرها تاريخاً سياسياً واجتماعياً واقتصادياً وثقافياً محلياً ودولياً فشمولها للأحداث جعلها ديواناً للأحداث بلغة عصرها وانفعالاته واهتماماته.

مجلة الفجر الجديد:

دورية الصدور: مجلة مصرية نصف شهرية.

تاريخ صدورها: صدرت لأول مرة في عام 1945

جهة الإصدار: دار التحرير للطبع والنشر

صدرت مجلة "الفجر الجديد" في مصر وهي مجلة ماركسية كانت تصدر نصف شهرية ثم أصبحت أسبوعية وشارك فيها عدد من الأدباء مثل عبد الرحمن الشرقاوي ونعمان عاشور وعلي الراعي وتوقفت عن الصدور في 11 من يوليو 1946م.

وفي هذه المهنة الصحافية سار عبدالرحمن الشرقاوي سير الأبطال والفرسان وله رأي متين نفذه حيثما وجد الفرصة السانحة

لاستجلاب أذهان القراء والدراسين والأصحاب والجلساء ولم ينحن أمام آراء مهزولة حائرة وحاول محاولة جادة في سبيل إرسال الرسالة المفيدة إلى الإنسانية العطشى وهو صاحب الكلمة والكلام معاً ونشر معظم كتبه في الجرائد والمجلات المصرية أولاً ثم طبعت.

فالحاصل أنه كاتب كبير وصحافي قدير ومصالح حفيظ ظهر معظم أعماله حاملة طيب كلامه وجيد معانيه وأحسن آرائه وأثارت غوامض السبيل الذي يصلح للسالك أن يسلك فيه وأنه إداري ماهر كما ظهر أثناء عمله في مؤسسة روز اليوسف وفي جميع المسؤوليات التي أقيمت على كاهليه الناحلتين.

الشرقاوي أديب إنساني غيور :

كان أديبا بارعا في فنه لأنه ينتمي إلى تربة مصر العزيزة التي انجبت نبغاء الأدب الذين طرقت كثيرا من المجالات الأدبية من الشعر والمسرح والمسرحية الشعرية والقصة القصيرة والرواية والسيرة الذاتية، فالشرقاوي كان راكب كل هذه الأقسام الأدبية ولم يترك أي مجال إلا وتوغل فيه.

يختلف أدب الشرقاوي رغم تنوعه بالإخلاص والإصالة والجدة في التعبير عن العواطف البشرية والحقائق الإنسانية عن أدب الأدباء الآخرين وكتابة الكتاب سواه. قد جال وخاض عبدالرحمن الشرقاوي في العديد من الدوائر والميادين الأدبية من القصة والرواية والمسرح والمسرحية الشعرية والكتابات الدينية والمقالات الأدبية والنقدية والسير والتراجم وإن كانت هذه الآثار تختلف من ناحية التكنيك الفني ولكنه قد جعل في رأس كل آثاره عنصر الوظيفة التي هي همه الأول في حياته المليئة بالمشاكل المتنوعة والمتفرقة تجاه أفكاره وآرائه الدينية والسياسية وأسلوب حياته وطرز كتابته التي اتخذها ببسالة وإقدام شديد وهو الدفاع عن الحق والحقيقة وعن الإنسان وعن الشخصية المصرية وقد بقيت آثاره الخالدة لجيله كآثار الذهبية والفضية اللامعة التي انارت ولا تزال تثير الطرق المتشعبة المتفرقة إلى صراط القويم أمام السائرين. من البداية في حياة مهنية أنه كان محامياً فلم يلبث حتى تجنب من المحاماة وتركها قاصداً نحو الأدب والصحافة العربية العريقة فاستفاد كثيراً من مختلف فروع الأدب وبدأ يفيد الأجيال بأفكاره وآرائه الرصينة وأدبه العربي الأصيل أنه رأى بعينيه البراقيتين التي تواجهها الفقراء من الناس وخاصة الفئة التي تطعم الملايين من الناس تموت بالفقر المدقع والجوع المتعب والأعمال الجائرة التي تنفذها الحكومة حين ذاك وهذه الزمرة تكذب بعرق جبينها فلا تجد قوت يوم لها ولأولادها ولذا أنه بدأ أول عمل في حياته في ميدان الأدب الجديد مقابل المحاماة فقام بإيجاد الأدب الذي يصور حياة تلك الطبقة من الناس تأكل الإنسانية على حسابها وهي التي تعد العمود الفقري في البلاد التي تعيش فيه وأنه أتى في أدبه بكل ما كابده الفلاح المصري خاصة والفلاح في كل أنحاء المعمورة عامة لأن كلما يسري على الفلاح المصري يسري على فلاح غير مصري على السواء فجاء برواية "الأرض" التي هي علامة بارزة مضيئة تضيئ دروب جور الحكومة وظلمها واغتصاب أراضي الفلاحين وتجريدهم من التسهيلات الفلاحية اللازمة لشق الأرض وانبثاق النباتات الخضراء من التربة الرمادية والقنوات المائية للري.

فالحاصل قد حرمت الحكومة الفلاح المصري من جميع الحقوق الأساسية التي وجبت عليها أن تؤدي إلى أهلها، وإبراز هذه العملية الخطيرة كشف عبدالرحمن الشرقاوي الغطاء عنها وباح بذلك السر الذي يدب في أقسام الحكومة ضد الفلاح المصري في روايته الشهيرة "الأرض". وتتجلى آثاره في السطور القادمة

فن المقالة:

- ثورة الفكر الإسلامي: مقالات
- قراءات في الفكر الإسلامي: مقالات 1975.
- رسالة إلى شهيد: مقالات 1957.

البحث:

- بانوج والسلام العالمي: بحث سياسي 1955.

نظرة عابرة على آثار عبدالرحمن الشرقاوي الأدبية: الزمرة الأولى رواياته

في فن الرواية لم يكتب عبدالرحمن الشرقاوي إلا أربعاً إلى أنفاسه الأخيرة وهي: "الأرض" و "الشوارع الخلفية" و "قلوب خالية" و "الفلاح".

الأرض:

رواية "الأرض" في معنى الأرض الحقيقي والكاتب عبدالرحمن الشرقاوي صاحب بصيرة كان قد نقب معدنا من المعادن الملانة بالمادة الأدبية فيه والمتدفق بما فيه معاني الأرض الحقيقية التي قد تحملت منذ أزمان ممتدة ولا تزال تتحمل وسوف تتحمل أوزار أعمال الإنسانية الحسنة والسينة على السواء ولكن هذا يكون إلى الميعاد وإذا وصلت إليها تعمل كما وصفها الله سبحانه وتعالى في سورة الزلزال "إذا زلزلت الأرض زلزالها وأخرجت الأرض أثقالها وقال الإنسان مالها يومئذ تحدث أخبارها بأن ربك أوحالها يومئذ يصدر الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره" هكذا فعل عبدالرحمن الشرقاوي لأنه من عامة الناس يرى كلما عاناه سكان الريف المصري وتجشموه بالنسبة المعاضل التي تدب كدبيب السم القاتل في العروق وبعد مشاهدة هذه المناظر البشعة أخرج الشرقاوي شعلة ذات شعاعين متضادين كشفت الواحدة مظالم الحكومة وعدم توفير التسهيلات الفلاحية للمزارعين والفلاحين المكودين والأخرى خلقت المكان الجميل للرجاء والأمل الحقيقي في الحياة المتعبة وهو التخلص من وحشية الظلم واللجوء إلى السلام والأمن، هذه الرواية الشهيرة الخالدة التي قد نشرتها جريدة المصري سلسلة أول مرة عام 1953 وطبعت في صورة كتاب عام 1954 تعد من أهم أعمال الشرقاوي الأدبية والرائدة في مجالها الروائي. هي أول رواية مصرية عربية تصور حياة الفلاحين وهموم وتنطقهم بلغتهم الحقيقية وتقدمهم في صورة تفرض على القارى أن يأخذهم مأخذ الجد وأن يتعرف عليهم كأناس لهم مشاكلهم وهموم المضيئة ولهم قيمهم ومثلهم التي يضحون في سبيلها بالكثير وليسوا بالسذج ولا البلهاء كما تصورهم أفلامهم السينمائية عادة. وتحمل هذه الرواية مكانتها الهامة والفنية من حيث البحث عن الوقائع الاجتماعية والسياسية في القرية المصرية وأخذ الشرقاوي جبين النزعة الإنسانية بكتابة هذه الرواية. إن حكاية الأرض تحدث في سنوات الثلاثينات بين عامي 1932-1933م خلال السنوات الحاكمة في مصر حيث يتحكم "صدقي" ديكتاتور "الملك فؤاد" وأحداث القصة تدور في قرية الدلاتون التي تشهد صراعاً حقيقياً بين الفلاحين الذين يفلحون الأرض ويحراثونها ويرسلون المحصول إلى كل فم يأكل في مصر وخارجها ولكن الحكومة قد استغلت الفلاحين البسطاء استغلالاً جائراً في صورة الضرائب الباهضة والبيع والشراء وسعر القطن ومنتجات الأرض، ويشند النضال من أجل الحصول على الماء للأرض وقضية الري هي من أهم المسائل التي من أجلها ثار النضال بين الشعب والحكومة والفلاح وأعمال الحكومة.

بقائمة مفصلة بتمييز كل فئة من فئات الكتابة التي خاضها الشرقاوي:

فن الرواية:

- الأرض: (نشرت سلسلة في صحيفة المصري ثم طبعت) 1952.
- قلوب خالية: 1956.
- الشوارع الخلفية: (نشرت سلسلة في جريدة الشعب ثم طبعت) 1956.
- الفلاح: (نشرت سلسلة في جريدة الجمهورية ثم طبعت) 1967.

فن القصص:

- أرض المعركة: (مجموعة قصصية) صور من كفاحنا الشعبي عام 1952.
- أحلام صغيرة: مجموعة قصصية قصيرة عام 1955.

فن المسرحية:

- الحسين ثائراً: (نشرت في صحيفة الجمهورية ثم طبعت) 1970.
- الحسين شهيداً: (نشرت في صحيفة الجمهورية ثم طبعت) 1970.
- الفتى مهراً: (نشرت أول مرة في الكاتب سلسلة ثم طبعت) 1966.
- وطني عكا:
- مأساة جميلة: (نشرت سلسلة في جريدة الشعب ثم طبعت) 1958.
- أحمد عرابي زعيم الفلاحين: (نشرت في صحيفة الأهرام ثم طبعت) 1982.
- النسر الأحمر (النسر والغربان): مسرحية شعرية 1975.
- النسر الأحمر (النسر وقلب الأسد): مسرحية شعرية 1975.

فن الشعر:

- رسالة من أب مصري إلى رئيس ترومان: قصيدة طويلة 1968.
- رسالة إلى جون سون: قصيدة طويلة 1967.
- تمثال الحرية وقصائد منسية: مسرحية شعرية 1967.
- خطاب من أب مصري: ديوان شعر 1968.

فن السير و التراجم:

- محمد رسول الحرية: (نشرت سلسلة في جريدة المساء ثم طبعت) 1966.
- أئمة الفقه التسعة: نشرت بالأهرام سلسلة خلال سنوات ثم طبعت (1982).
- ابن تيمية الفقيه المعذب: (نشرت بالأهرام سلسلة ثم طبعت) 1982.
- علي إمام المتقين: (نشرت بالأهرام سلسلة ثم طبعت) 1982.
- الفاروق عمر بن الخطاب: (نشرت بمركز الأهرام للترجمة والنشر) 1987.
- عمر بن عبد العزيز خامس الخلفاء الراشدين.

وفي الجزء الثاني من رواية الأرض نصل إلى أوجه النضال المختلفة ومحاولات نزع الملكية من أيادي الظالمة والمقاومة السرية واشتراك النساء في هذا النضال الدبيب وحبس الرجال، إن رواية الأرض كانت بمثابة الفأس المشتعل للفلاح المصري الذي شق به صدور ظالميه وعلامات بارزة في تاريخ الرواية المصرية. يرتفع الشرفاوي بهذه القصة بالذات إلى مصاف جوركي وتولستوى وأميل زولا. ولقد ترجمت هذه الرواية إلى لغات أجنبية منها السويدية بعد أكثر من 30 عاما من تأليفها وقررت جامعة السوربون تدريسها لطلاب الدراسات العليا.

2- "الشوارع الخلفية" (1958)

هي أهم روايات عبدالرحمن الشرفاوي من الناحية الفنية فهي مثل "الأرض" التي تقدم كفاحا ونضالا مريرا ضد السلطة التي لاتعمل لمصالح الشعب ولاتخدم عامة الناس كما يليق لها أن تفعل وجدير بها أن يرفع الناس الذين على كواهلهم استقامت دعائم الحكومة وفي نفس الفترة تقريبا "أواسط الثلاثينيات" وبالتحديد كفاح عام 1935 لكن الفرق بين الكفاح الذي ذكرته رواية الأرض والكفاح الذي قدمته رواية الشوارع الخلفية هو أن كفاح رواية الأرض تم في القرية وكفاح رواية الشوارع الخلفية تم في المدينة لا في القرية وقامت به طوائف الشعب في القاهرة والمدن الأخرى وانتهى بإعادة دستور 1923 وتأليف الجبهة الوطنية والحكومة الإصلاحية وهو كفاح عاشه الشرفاوي نفسه وأسهم فيه طالبا بالمدرسة الخديوية الثانوية ومن هنا توافر للرواية الكثير من المصادقية التي لم تتوافر في كفاح الفلاحين في رواية الأرض.

والرواية تفيض بتصوير المشاعر المركبة والعميقة وكان المؤلف يريد أن يعوضنا هنا عما نفتقده في رواية الأرض التي ركزت كل التركيز تقريبا على وصف كفاح الفلاحين دون التعرض إلا لماما ونادرا لأي أسرار نفسية. وتتجلى في الرواية أيضا بلاغة اللغة الدارجة التي تعودناها من الشرفاوي في الأرض وبلاغة اللغة الفصحى التي ترقى إلى مستوى الشعر في المواقف المؤثرة نفسيا ومنها على سبيل المثال زيارة شوقي الذي يعكس حياة الشرفاوي نفسه في الفترة حسب بعض المناظر المقدمة فيها تبدو الرواية رواية سيرة ذاتية كما ذكر فيها زيارة شوقي لأسرة صديقه الذي قتل في المظاهرة وما تلك اعتمل في نفسه آنذ من مشاعر الحزن والوفاء لصديقه وامتزاج هذه المشاعر بمشاعر الحب المثالي لصفية أخت هذا الصديق وما اعتمل في نفس الأم وهي ترى صديق ابنها الحميم يدخل البيت لأول مرة بدون صحبة الإبن.

والواقع أن الشرفاوي ينجح هنا كما لم ينجح كتاب غيره في أن يجعلنا نعيش أحداث هذا الكفاح "من الداخل" من خلال عرض الكثير من ألوان التحضير السري الذي يسبق كل حدث والتفاصيل المصاحبة لتنفيذه وما يحيط بكل ذلك من اجتماعات مستخفية وخداع للشرطة كما ينجح في تصوير العلاقات الحميمة التي تربط بين اصدقاء الكفاح تصويرا يتميز بالواقعية والتلاحم والحيوية التي لا نجدها في أي رواية وطنية أخرى لأنه عاش في هذه الأحداث فعلا.

كذلك ينجح الشرفاوي في إطلاعنا على "الشوارع النفسية الخلفية" لإبطال روايته وأسرارهم الخاصة وهو ما نفتقده غالبا في رواية الأرض ومن خلال عرض هذه الحيوانات السرية يصور لنا الشرفاوي مشاعر إنسانية صادقة و معبرة طالب تداخله الربية في سلوك أمه ويعتقد أنها ربما تخون والده حتى يرى الوالد في النهاية في وضع شائن مع الخادمة فيحتضن أمه بعد ذلك ويكبرها كما لم يفعل من قبل. ولا يدري القارئ حين يصرع الشاب بعد ذلك وقرب نهاية الرواية في إحدى المظاهرات أكان في استطاعته أن ينجو

ولكنه عرض نفسه للرصااص فرارا من قسوة الصدمة في سلوك أبيه والشعور بالذنب تجاه أمه أم هي شجاعته و وطنيته وكرامته التي حالت دون هروبه ونجاته. إن الشرفاوي ينجح في عرض الموقف على هذه الصورة المحيرة.

3- "الفلاح" (1967)

هذه الرواية اطلعتنا على الأحوال والأوضاع المتبعة التي قد أضنت قوى الشعب عموما والفلاحين خصوصا في آخر شتاء 1965 وكذلك تدور على بداية ربيع العام نفسه تروي أحداث قرية مصرية لا يزال يحكمها رغم مضي زمن طويل على قيام ثورة 1952 وإنجازاتها من إصلاح زراعي وجمعيات تعاونية إلى غير ذلك يحكمها سليل أحد الإقطاعيين "رزق بيه" الذي تحول رغم محاولة الثورة لتقليب أظافره إلى قوة جديدة يستغل نفوذه متعاونًا مع المشرف الزراعي وأحد الانتهازيين من أقاربه وذلك بهدف فرض سلطانه على الفلاحين واستغلالهم.

وعلى هذا النحو يمثل الإقطاعي العدو الأول أمام الفلاحين فيقوم بالقبض على البعض ويستولى على أراضي البعض الآخر فلا يكون على القرية أمام الإقطاعي غير أن ترسل باحد أبنائها "عبد العظيم" فلاح أمي ذكي إلى القاهرة لمقابلة وزير الزراعة. وفي العاصمة يلتقي بالراوي أو المثقف الذي يشهد كل دورات الصراع مع الطاعى الجديد محاولة التحرش بالفلاحين وإهانة بعضهم والقبض على البعض الآخر حتى ينتهي الصراع بصعود قرار فصل المشرف المتواطئ إلى مرحلة صراع أخرى لاتعرف ستكون لصالح من؟ وعلى الرغم من أن الراوي المثقف هنا يستخدم ضمير الراوي وضمير الغائب فقد كان في هذا يمثل رمز المثقف في فترة الستينات الذي شهد تجاوزات الثورة أفرادها وعابن أحوال الفلاحين ومشاكلهم وقد حاول التعبير عن هذا كله خلال العمل.

لقد بدا هذا خلال "حامل الرأي" من أمثال عبد العظيم فلاح فصيح وعمار الشيبني عامل واعي و عدلي عبد الواحد طالب جريئ كما بدا في الضمير الذي راح يروي به وما يخفى واره مما يبين أن الراوي جهد في أن يحاول إصدار صك براءته ويحاول تبرير وجوده كمتقف يفتش عن معنى وجوده وجدوى ثقافته. ويخلص من هذا إلى أن موقف الراوي لم يجاوز قط حدود التهاون بحقوق الفلاحين والتهاون مع العناصر المضادة للقرية التي مثلت تجربة قرية مصرية في صراعاها اليومي ضد غاصبها. ويمكن تتبع خطط هذا الموقف في بعض النقاط.

أن الراوي رغم علمه بموقف "رزق بيه" المرجح بالاتحاد الاشتراكي والقوى الانتهازية المتعاونة معه فإنه لم يملك غير تصرفات سلبية لانجد في دورة الصراع أنه حيث تحدث عن الإقطاعي راح يقول "رزق بيه" حريصا على اللقب وحين يسعى لتصرف آخر لا يجد أن يذهب إليه في بيته لمقابلة زوجته كان مسافرا اعتقادا منه ومنها كما نفهم من النص أنهما يستطيعان فهم بعضهما البعض لتقارب الطبقة وهي طبقة تنفق وتغايير طبقة الفلاحين أن الراوي مع علمه بجملة من الإجراءات التي يتخذها الإقطاعي ضد أهل القرية وهي إجراءات غير إنسانية وظلم شديد ضد الفلاحين مثل ضرب البعض بالكرباج أمام أهل القرية أو تهديد البعض الآخر بشكل يسيئ إلى الكرامة الإنسانية تماما مع علمه بالإجراءات التي يمارسها الإقطاعي ويستبد بها فنحن لم نشهد واحدا يمكن أن يشير إلى أن المثقف حاول الاحتجاج بشكل فعال وإنما إنعزل في معسكر الخصم ليس معسكر الفلاحين البؤساء.

الزمرة الثانية: قصصه

وخلال دورات الصراع نرى حركة المثقف بطيئة ثقيلة لم تزد على أن يذهب صاحبها إلى بيت "رزق بيه" ليحاول القيام بوساطة بينه وبين الفلاحين وكأن الوساطة هي الوسيلة العزلاء الوحيدة التي يمكن بها التأثير على الإقطاعي وفي مرة ثانية يقوم بدور المفاوض بين القرية وأعدائها أو القرية وسادة الاتحاد الاشتراكي في المحافظة أو بين القرية وضابط المباحث.

واتخذنا درساً قاسياً من قراءة هذه الرواية أن المجرمين والطاغين والجبابرة الذين لا يحترمون الآخرين ولا يراعون حقوقهم ولا يفهمون آمال من دونهم فهم في الحقيقة الخائنون والمسئولون عن التدمير والتسخط من قبل البسطاء من الناس السادجون وخاصة الفلاحون الذين قد كابدوا المعاضل المتشعبة المتفرقة فلم تجدوا الملجأ والمأوى لیسع منهم عن أحوالهم ومشاكلهم ورجعوا خائبين وخاسرين مع أنهم على طرف من الصواب والرشد والهداية وسلوكوا على طريق الصواب والحق ولكن الحكومة لم تسمع منهم شيئاً.

4- قلوب خالية:

قلوب خالية هي رواية ثانية بعد "الأرض" التي تعبر نفس الحالات والحوادث التي تكررت فيها وهي التي تكررت بشكل آخر في "قلوب خالية" أما ما يتعلق بشخصيات الأرض كالإقطاعي محمود بك الذي عمل ضد الفلاحين المكودين كذلك الشخصيات الأخرى قد عمل في "قلوب خالية" وفي الأرض صورة الإقطاعي هذه تجعل الفلاح هامشاً بصورة يتصدرها هذا الذي يسعى لانتهاك صغار الفلاحين تدور الأحداث في قرى شمالية قريبة من القاهرة أما هنا في "قلوب خالية" رافض لوضعه ويسعى للانعتاق والثورة على حالته فيكون همه وقضيته أن يحمي نفسه من خلال حمايته لأرضه ويتصدى لم يفصم علاقته بها فالعلاقة بين الأرض والفلاح رصين كما جاء في الروايات الأربعة لعبد الرحمن الشرقاوي وهي العلاقة التي لا يزيلها إلا الموت فالفلاح مرتبط بالأرض ارتباطاً وثيقاً لأنها المصدر الأساسي للفلاح وربما الوحيد للقمّة عيش له ولأهله ولعصره ومصره ولعالمه ومن هنا تتحدد صفته الفعالة تجاه الأرض.

واحمد عودة بطل الشمندورة يقول: "أى أرض يمكن أن توجد مع الخدمة وبدون خدمة يمكن أن تتحول الأرض الخصبة السوداء إلى أرض قاحلة شاحبة حتى هذه الأرض الصفراء يمكن أن تخضر" (قلوب خالية ص152).

فالحاصل أن الأرض لا تنبت ذهباً ولا فضة وأن السماء لا تمطر حبوباً ولا أرزاً بل أن الفلاح نفسه الذي يقوم بأعمال وبمشاق لإنتاج الحبوب ليكون معيناً ومساعداً على المستوى القومي والعالمى.

وقد ذكر الروائي الكبير في معظم الأماكن صنوف الساعات المختلفة وأنواعها العديدة التي تظهر منها أن الفلاح يراعي الأوقات ويفهم الزمن ويسعى حسبه في مدار أعماله العويصة وتلك الأوقات هي: صباح - ظهر - عصر - مغرب - عشاء.

فبدلاً من ذكر الزمن الحقيقي ذكر عبدالرحمن الشرقاوي في هذه الرواية العبقريّة الزمن المجازي ويأتي ذلك عبر الحوار في الرواية على النحو التالي:

"ياما رنت الساعة في جيب محبوبى.

فايته على السايغ وقال لى مالك.

إن كان على السايغ لشيعها لك.

بس ابعدى عن لفندى وقولى..." (قلوب خالية ص209).

القصة القصيرة هي نوع من القصّة لم يُعرف في الأدب العربي إلا حديثاً متأثراً بالأدب الغربي ثم أخذ تنمو وتتطور حتى أصبح كيانها الخاص وقوامها المستقل وموضوعاتها الأصلية التي تستقيه من واقعنا بما فيه من آمال والألم ومن وجداننا بما ينطوي عليه من أحاسيس ومشاعر وأما القصة القصيرة في الأدب الأروبية فهي شكل من أشكال لا يزيد طولها غالباً على عشرة آلاف كلمة... كتب الشرقاوي وخاض فغاص في مجال القصص القصيرة نشرتها المجالات والصحف بين عامي (1943-1952م) وقد تضحمت هذه القصص مجموعتين هامتين.

مجموعة قصصه الأولى: أرض المعركة

نشرت هذه المجموعة المختارة الطيبة في الصحف المختلفة والمجلات العربية وهي تتركب من عشرين قصة تتناسب عناوين القصص مع مضمونها حاملة مسؤولية هامة على ما بين الدفتين وفي الحقيقة تنقسم هذه المجموعة إلى ثلاثة أقسام:

أولها: يصور كفاح الشعب المصري ضد الحملة الفرنسية وهي خمس قصص.

ثانيها: يصور مظالم المماليك والأتراك وتعدياتهم على الشعب في ثمان قصص.

ثالثها: يتناول كفاح الشعب المصري ضد الاحتلال الإنجليزي في ست قصص.

يقول عبدالرحمن الشرقاوي في مقدمة كتابه "أرض المعركة": إنها مجموعة صور من كفاحنا الشعبي وهي ليست قصصاً بالمعنى الفني وليست تاريخاً بالمعنى العلمي ولكنها صور استقرأتها من التاريخ ومن حكايات الناس في قرىتي لم أضف لها شيئاً ولم أعمل خيالاً فكل ما فيها يعتمد على واقع تاريخي صحيح أنها تصوير لبطولة شعبنا عبر الأجيال في تاريخ هذه المقدمة التي كتبها الشرقاوي المجموعة تشير إلى معرفته بالأسس الفنيّة التي تحكم بنية القصّة القصيرة. ورغبته أن تكون هذه المجموعة مجرد صور من كفاحنا الشعبي أنّه لم يخضعها للمعنى الفنّي تماماً كما لم يخضعها للمعنى العلمي. وفي مجموعة أرض المعركة تغلب ظاهرة التسجيل للأخبار التي حدثت في التاريخ في الفترة الزمنية التي اختارها الشرقاوي لكل قصّة مما يجعل هذه المجموعة أقرب إلى قصص الأخبار وقد تتبّع الشرقاوي الأحداث في تسلسلها الزمني والأخبار التاريخية في الفترة الزمنية لحدوثها.

مجموعة قصصه الثانية: أحلام صغيرة

أما مقدمة الشرقاوي لمجموعة "أحلام صغيرة" فتؤكد أنه طمح أن يقدم من خلالها القصة القصيرة الفنية. أما في مقدمة كتابه "أحلام صغيرة" يشير إلى جانب الفني في هذا الكتاب حيث يقول: هذه مجموعة من القصص وفيها أول قصة كتبها سنة 1956م كلها محاولات للتعبير عن لحظات من العمر عن الأفكار والانفعالات والآمال هي الإنسان. ونرى أخيراً موضوعات قصصه قد تحولت من الاتجاه التاريخي إلى الاتجاه الواقعي والحياة اليومية ونفس الإنسان هذا التغيير يعود إلى المؤثرات الاجتماعية والسياسية ومنها الحرب العالمية الثانية وشيوع مفاهيم الاشتراكية وانتشار الثقافة والتعليم كل هذا من العوامل التي شجعت إنتاج الشرقاوي إلى الواقع.

هكذا تتراوح شخصية الشرقاوي تحت ظلال الأعمال الأدبية الخالصة التي تولدت من عرق جبينه وكد ذهنه وشجاعة قلبه، وهي نتيجة صالحة لمجهوداته العلمية والأدبية.

فإنني قد ذكرت جميع الأعمال الأدبية التي وصلت إليها بجهد جهيد وتركت جزء المسرحية عمدا بسبب الطولة.

المصادر والمراجع:

1. الأدب العربي الحديث، حامد ظفر ستاركي، دار العلوم للنشر، لبنان، 1996م ص129.
2. عبدالرحمن الشرقاوي: الفلاح الثائر، كمال محمد علي، دار النشر والتوزيع، مصر 1993م ص45
3. عبدالرحمن الشرقاوي: الفلاح الثائر، كمال محمد علي، دار النشر والتوزيع، مصر 1993م.
4. -قاموس الأدب العربي الحديث د حمدي السكوت، دار الشروق، القاهرة، 2006م.
5. -قاموس الأدب العربي الحديث د حمدي السكوت، دار الشروق، القاهرة، 2006م.
6. -قاموس الأدب العربي الحديث: د حمدي السكوت، دار الشروق، القاهرة، 2006م.
7. أدب عبد الرحمن الشرقاوي، طاهر جبار ستاركي، دار الشروق، القاهرة، 1998م.
8. عبدالرحمن الشرقاوي: الفلاح الثائر، كمال محمد علي، دار النشر والتوزيع، مصر 1993م.
9. القصة العربية في العصر الجاهلي، محمد غامد حسين، دار الشروق، القاهرة، 1990م.